كتاب موسى المفقود - الجزء الثّالث.

بحث وإعداد: ميرنا جردلي.

تدقيق وإشراف: الأستاذ موّفّق البغداديّ

نتابعُ في سيرةِ بني إسرائيلَ الذينَ كانوا أيامَ بعثةِ محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ - والكلامُ عنهم يطولُ - ولكن سنقفُ عندَ موقفِهم منَ الكتابِ الذي أنزلَهُ اللهُ على نبينا الكريمِ.

سورة البقرة: وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾.

سورة البقرة: وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾.

سورة البقرة: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾.

سورة النّساء: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾.

فلماذا كلُّ هذا الاستكبارُ والحقدُ وهو مصدِّقٌ لما بينَ أيديهم منَ الكتابِ؟

سورة البقرة: مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾.

سورة البقرة: وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾.

وهنا أتساءلُ مرةً أخرى: لماذا لا يريدونَ لأمةِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام الخيرَ والفضلَ؟ وهنا يجيبُ اللهُ تعالى على هذا التساؤلِ في **سورةِ الحديدِ: لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾.**

إذا الواضح أن التفضيل الذي حظي به محمد عليه الصلاة والسلام والعرب بالعموم هو سبب محوري والذي أغاظ بني إسرائيل، وكل ذلك سيتوضح بالتفصيل لاحقا.

ولكنَّ ومع ذلكَ وللأمانةِ ونقلِ الحقيقةِ كما وجدتُها في القرءانِ العظيمِ، فهنالكَ القلةُ منهم صدّقتْ بكتابِ اللهِ وآمنتْ بهِ وعملتْ بهِ، ففي سورةِ ءال عمران: **لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾.**

ويبدو جليًّا منَ الآيةِ التاليةِ أنَّ بعضَهم أيضًا آمنوا بكتابِ محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، ولذلكَ فسيؤتيهم اللهُ أجرَهم مرتينِ، مرةً عن كونِهم آمنوا بكتابِ موسى عليه السلام، والثانيةَ لأنَّهم آمنوا بكتابِ محمدٍ عليهما الصلاةُ والسلامُ.

سورة القصص: ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾.

سورة المائدة: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ

إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾.

ومع أنَّ هذهِ الآيةَ تتكلمُ عن الذينَ قالوا **إِنَّا نَصَٰرَىٰ**، ولكن لا بدَّ وأن ننتبهَ أنَّ معظمَهم كانوا من بني إسرائيلَ، ولهذا الموضوعِ وقفةٌ ثانيةٌ، فالواضحُ أنَّ المفردةَ " **إِنَّا نَصَٰرَىٰ**" تختلفُ عن "النصارى" في لسان القرءان، وكذلكَ الأمر بالنسبة للذينَ هادوا واليهودُ.

والآية التّالية تؤكد أن عيسى عليه السلام كان قد أرسل لبني إسرائيل.

سورة الصّف: وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾.

وقبلَ أن ننتقلَ إلى باقي الأنبياءِ والرسلِ لتوضيحِ موضوعِ الكتابِ بشكلٍ أكبرَ، ألقي الضوءَ على بعضِ الآياتِ التي كنتُ أقرأُها وأمرُّ عليها ظنًّا مني أنني مدركٌ لمعناها ومقصدِها.

سورة البقرة: رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾.

هنا دعاء إبراهيمُ عليهِ السلامُ طالبًا منَ اللهِ أن يرسلَ رسولًا منا يعلمُنا الكتابَ، والسؤالُ هو: كيفَ علمَ إبراهيمُ عليهِ السلامُ بهذا الكتابِ أصلًا إن لم يكنْ قد نزلَ عليهِ وإن لم يكن شيء ثابت واضح وواحد وله مكانة وخصوصيّة!

وطبعًا تأتي استجابةُ اللهِ لدعاءِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ ليصطفيَ محمدًا عليهِ الصلاةُ والسلامُ فيعطيهِ هذا الكتابَ وهذا الفضلَ العظيمَ.

سورة البقرة: كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾.

ومنَ الآيةِ التاليةِ نتبينُ كيفَ علِمَ إبراهيمُ بموضوعِ الكتابِ، فالواضحُ أنَّ اللهَ أعطاهُ إياهُ كما أعطاهُ لباقي الأنبياءِ.

سورةُ البقرة: قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾.

سورةُ ءال عمرانَ: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾.

وبما أن بني إسرائيل وكما قلنا آنفا كان منهم من يكتمون ويخفون وينبذون الكتاب، فتأتي الآيةُ التاليةُ لتفضحَ نيةَ من كتمَ الكتابَ من بني إسرائيلَ لأنَّهُ مشابهٌ ومصدِّقٌ للذي أنزلَ لهم عن طريقِ موسى عليهِ السلامُ وجميعِ الأنبياءِ والرسلِ، وأنَّ اللهَ وبكتابِ محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أظهرَهُ للناسِ أجمعينَ بعدَ أن كتمَهُ بنو إسرائيلَ فأخفوهُ وحرفوهُ ونبذوهُ.

سورةُ البقرة: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾.

ولا بدَّ أن ألفتَ نظرَكم للآياتِ التاليةِ، حيثُ نتأكدُ أنَّ الكتابَ واحدٌ لجميعِ الرسلِ.

سورةُ ءال عمرانَ: فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾.

سورةُ النّورِ: وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾.

سورةُ العنكبوتِ: وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾.

وفي الآيتينِ أدناهَ يتضحُ لنا أخيرًا أنَّ محمدًا عليه الصلاة والسلام لم يكنْ يتلو أو يخطُّ من قبل أي كتاب أو هذا الكتابَ أصلُ بحثِنا هذا، لا بل لم يكنْ يعلمُ ما هوَ الكتابُ ولم يكنْ يعلمُ أصلًا ما هوَ الإيمانُ.

سورةُ العنكبوت: وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾.

سورةُ الشّورى: وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾.

الرسولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لم يكنْ يعلمُ ما الكتابُ ولكنَّ بطبيعةِ الحالِ فلا بدَّ وأنَّهُ سمعَ عنِ التوراةِ والإنجيلِ سابقًا، فمكةُ كانَ يقطنها بعض من بني إسرائيلَ ولابد وأنه كان قد سمع بالتوراة والإنجيل، وهنا تأكيدٌ آخر أن الكتاب شيء مختلف تماما عن التوراةُ والإنجيلُ اللذان كانا موجودانَ في زمانه، ونلاحظُ ذلكَ في **سورةِ ءال عمرانَ: كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾.**

وهنا يتضحُ لنا بشكلٍ يقينيٍّ وغيرِ قابلٍ لشكٍّ أو ريبٍ، أنَّ اللهَ أشارَ سبحانَهُ وتعالى إلى كتابٍ موحدٍ جاءَ بهِ جميعُ الرسلِ، وفي الحقيقةِ أنَّ الآيةَ التاليةَ من سورةِ البقرة التي ذكرتُها سابقًا وأعيدُها، كانت بالنسبةِ لي البوصلةَ التي أرشدتني إلى هذهِ الحقيقةِ.

سورةُ البقرة: رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾.

وأعيدُ، أنَّ هذهِ كانت دعوةَ إبراهيمَ عليهِ السلامُ لربِّهِ بأن يبعثَ من ذريتِهِ رسولًا يعلّمُ الناسَ الكتابَ ونرى كيفَ أنَّ اللهَ استجابَ لهذهِ الدعوةِ كما جاءَ **في سورةِ الجمعة: هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾.**

وأعيد هذهِ الآياتُ أيضا لتبينَ لنا حقيقةَ أنَّ الدينَ واحدٌ وهنالكَ كتابٌ واحدٌ أنزلَهُ اللهُ على جميعِ رسلِهِ أو آتاهم إياهُ.

سورةُ البقرةِ: وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾.

والآياتُ التاليةُ تبينُ لنا أنَّ الديانةَ اليهوديةَ والنصرانيةَ هي دياناتان مبتدعتان، ومع أنني لم أجد الكثيرَ من المعلوماتِ عما قبلَ زمنِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ولكن أصبحَ واضحًا لي أنَّ إبراهيمَ عليهِ السلامُ كان الركنُ والبوصلةُ الأساسيةُ لهذا الكتابِ، ومن هنا أصبحتُ أستوعبُ أكثرَ لماذا إبراهيمُ عليهِ السلامُ أصبحَ أمةً بذاته وإمامًا ويعتبر أساس الملّة الإسلامية الواجب اتباعُها.

سورةُ البقرة: وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾.

وأصبحَ واضحًا وجليًّا لنا لماذا نسبَ اللهُ التسميةَ "مسلمينَ" لإبراهيمَ عليهِ السلامُ، علما أنَّ الإسلامَ كصفةٍ هو دينُ اللهِ منذ بدايةِ الخلق والذي بدورهِ يعني التسليمَ والاستسلامَ للهِ عزَّ وجلَّ.

سورةُ الحجِّ: وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾.

وأصبحتِ الأمورُ واضحةً كوضوحِ الشمسِ، فإبراهيمُ عليهِ السلامُ وكأنَّهُ أصبحَ المركزَ لهذا الدينِ فأصبحَ يستحقُّ أن يكونَ الإمامَ ويكونَ أمةً بذاتِهِ وملَّتَهُ واجبٌ اتباعُها ويستحقُّ نسبةَ هذا الاسمِ العظيمِ.. هو سماكم المسلمينَ، وكلُّ ذلكَ كانَ بسببِ منزلةِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ الذي بحثَ عنِ اللهِ في زمنٍ كانوا يعبدونَ أيَّ شيءٍ إلا اللهَ بالإضافة إلى تحصُّلِهِ على الكتابِ ورفعِهِ القواعدَ منَ البيتِ وإيمانِهِ اليقينيِّ باللهِ وغيرِ ذلكَ الكثيرِ مما جعلَهُ فعلًا أبو الأنبياءِ.

وعندَ تدبُّرِ **سورةِ البقرة: قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾.**

من هذهِ الآيةِ يتضحُ لنا أنَّهُ وحتى القبلةَ فهي حجةٌ على الذينَ أوتوا الكتابَ فهم يعلمونَ أنَّ البيت في مكةَ وهو القبلةُ الصحيحةُ للدينِ الإسلاميّ أو دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ بنصّ الآياتِ السابقةِ، ومن المؤكدِ أنَّها كانت معروفه في كتابِهم الذي جاءَ كتابُ محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مصدقًا لهُ، فمن الواضحِ أنَّهم يعلمونَها يقينا، لأنَّهم أوتوا نفسَ الكتابِ الذي نزلَ على محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، وقد قالَ اللهُ عزّ وجلّ صراحةً أنَّهم يعرفونَ اتجاهَ القبلةِ الحقّ كما يعرفونَ أبناءَهم ومع ذلكَ فهم يتوجهونَ بصلاتِهم لقبلةٍ ثانيةٍ وهي الحائطُ الغربيُّ أو حائطُ المبكى ويعتبرونَهُ مكانًا مقدسًا، كيفَ ذلك والقبلةُ واحدةٌ عندَ اللهِ وقد أمرَ الله إبراهيمَ أن يأذّنَ في الناسِ كافةً ليدعوَ الناسَ جميعًا لهذهِ القبلةِ: **وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾.**

فبالتالي لابدّ وأن تكون القبلة واحدة للجميع كون الدين واحد عند الله، وهو الإسلام، وجميعَ الأنبياءِ والرسل بعثوا ليبلّغوا هذا الدين.

سورةُ الأنبياء: قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾.

وفي كلّ مرةٍ سوفَ نأتي على آياتٍ تؤكدُ لنا بأنَّ الكتابَ الذي أُنزلَ على محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مصدقًا للكتابِ الذي أنزلَ لبني إسرائيلَ وهو الذي أُنزلَ لموسى عليهِ السلامُ وأنزل أو أوتي لجميعِ الأنبياءِ من قبلِهِ.

سورةُ الأنعام: قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾.

سورةُ الأنعام: أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾.

والآنَ بدأنا نفهمُ هذهِ الآيةَ والتي توضحُ لنا أنَّهم يعرفونَ كتابَ محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كما يعرفونَ أبناءَهم لأنَّهُ مشابهٌ لكتابِهم، ولكنَّ فريقًا منهم كتمَ أو أخفى أو حرفَ ما جاءَهم في كتابِهم بالرغمِ من تحذيرِ اللهِ المستمرِ لهم حيثُ وكما ذكرنا فإنَّ اللهَ قد أخذَ منهم ميثاقًا بذلكَ، ولكن كالعادةِ لم يلتزموا بهِ وكتموا الكتابَ وأخفوهُ وللأسفِ نجدُ أنَّ ما حصلَ منهم حصلَ معنا حيثُ أننا أيضًا لم نجدْ أيَّ شيءٍ في موروثِنا يدلُّ على وجودِ هذا الكتابِ وأهميتِهِ ولم يصلنا أيُّ تفصيلٍ بهذا الشأنِ، ومن هنا يتضحُ لنا هذهِ الجريمةُ الكبرى التي قامَ بها من سبقَنا وقمنا بها نحنُ أيضًا، فليسَ من المعقولِ أنَّ الرسولَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لم يخبرْ أمتَهُ عن هذا الموضوعِ مع وجودِ كلِّ هذهِ الأدلةِ من القرءانِ العظيمِ، ولماذا لم يصلنا أيُّ شيءٍ عن هذا الموضوعِ الهامِّ جدًّا، لماذا لم يصلنا شيء عن هذا الكتابِ العظيم.

سورةُ البقرة: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾.

سورةُ البقرة: أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾.

سورةُ ءال عمران: وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾.

وأودُّ الإشارةَ هنا بأنَّ التوراةَ لم ترتبطْ في القرءان بموسى عليهِ السلامُ أبدًا، وأصبحَ من المؤكدِ أنَّ الكتابَ الذي جاءَ بهِ موسى عليهِ السلامُ هو الكتابُ الذي أنزلَهُ الله أو آتاهُ لجميعِ أنبيائِهِ كما وضحنا بالآياتِ التي سبقتْ وكما سيتبينُ لنا أكثرَ لاحقًا.

نُكملُ في سورةِ ءال عمران: نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾.

فاللهُ نزلَ على محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ الكتابَ مصدقًا لما بينَ يديهِ منَ الكتابِ (أي الكتابِ الذي أنزلَ لموسى عليهِ السلامُ) وليسَ كما تعلمنا وليسَ كما كنا نعتقدُ بأنَّهُ التوراةُ لأنَّ سياق الآية يخاطبنا فيقول: وأنزلَ التوراةَ والإنجيلَ، إذن هنا تأكيد آخر أن الكتاب المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام هو مصدق لشيء بين يديه وأصبحنا نعلم الآن أنه مصدق لكتاب موسى عليه السلام، وأنزل كتابين آخرين هما التوراة والإنجيل.